المرحلة الثالثة : مرحلة هيكلة المجتمع الاسلامي .

محاضرة للأستاذ الدكتور : محمد هادي شهاب

هذه المرحلة فرضت نفسها بعد سلبيات مرحلة التكوين التي شابها التعصب الفكري ، والتي ألقت بشرورها على عاتق المجتمع بكل مكوناته .

ولا ننسى ما جرى من حروب صليبية راح ضحيتها الكثير من المسلمين ، مما أدى إلى توقف عجلة المعرفة في بلاد الإسلام ، فضلاً عن مخلفات الحالة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

لقد أتاحت هذه الأحداث للمرحلة الثالثة فرصةً بالغة الأهمية ، حيث تم من خلالها تخطي الحالة التقليدية ، وأخذت تقدم الحلول الناجعة للمشاكل العالقة في المجتمع المسلم ، بل إنها كانت مرحلة ناضجة ، استوعبت المشاكل الفكرية ، وأزاحت ظلام الماضي ، بضياء الفكر والابداع .

وفي هذه المرحلة تخطى المسلمون سلبيات المراحل السابقة ، والتي كانت تعبر عن واقعية فكرها ونمط معرفتها ، ولم تعد مخلفات الماضي تؤثر بقدر الهمة التي اجتاحت الفكر الإسلامي .

المرحلة الرابعة : مرحلة التجديد والاصلاح .

في بداية القرن العشرين ، بدأت مرحلة التجديد والاصلاح بدايةً عملية ، كان هدفها إزالة الأوهام والأفكار المريضة من حياة الأمة المسلمة التي عانت في مراحلها التاريخية السابقة من تردٍّ للأوضاع الاقتصادية والمعرفية والعلمية والحضارية .

ولأهمية هذا الموضوع كان لزاماً علينا تعريف هذا المصطلح وبيان حكمه الشرعي.

تعريف التجديد :

التجديد في اللغة كلمة مشتقة من الجِدَّة ، وهي نقيض البلى ، وجدَّ يجدُّ .. صار جديدا ، وعلى ذلك فالتجديد إعادة الشيء البالي الى وضعه الطبيعي ، أي تصييره جديدا .

أما في الاصطلاح ، فلنا فيه معنيان أو اتجاهان :.

الأول : الاتجاه الذي يتفق مع التعريف اللغوي ، وبالتالي لا نعني بالتجديد رفض كل قديم والاتيان بكل جديد ، فهو ليس اسقاطاً للقيم والمباديء الاسلامية ، وإنما : العودة بالمسلمين الى الأصل ، والتمسك بالثوابت ، وبناء مجتمع مسلم قائم على الجوهر الأول الذي اعتمده العهد الأول من الصحابة ، ومن جاء بعدهم من التابعين لإصلاح المفاهيم المشوهة ، وتصفية وتنقية الفكر الاسلامي ، وإثبات أحقيته بالإتباع .

أما الاتجاه الثاني : فيقضي بإعادة وتأصيل المفاهيم الاسلامية الأصيلة بنظرة واقعية تتلاءم والواقع العالمي المعاصر ، فالتجديد وفق هذه الرؤية لا يعني تقديم فكر اسلامي جديد ، ولا إحياءً للفكر الاسلامي القديم ، بل هو تفاعل عملي في إعماق الفكر القائم ، من أجل تجديده ، أي : إعادة حقيقته وتطوير سلوكياته وفقاً لما تقتضيه حاجات العصر الراهن .

وهناك اتجاه ثالث وهو الاتجاه الذي يستهدف تطور الفكر الاسلامي وفقاً للمضمون وتحسين وسائله وأنماطه المختلفة .

فالتجديد وفقاً لهذا الاتجاه : نهضة وإصلاح ونقلة نوعية من الغريزة الانسانية بشكل عام ، إلى العقل الاسلامي الواعي .

وفي خاتمة هذه الاتجاهات الفكرية ، نقول :

إن أهم ركيزة قام عليها المفكرون في شتى الاتجاهات هي : الارتباط الكلي بجذور الاسلام الصحيحة ، والحفاظ على هوية إسلامية راسخة تستطيع أن تقف بوجه الفلسفات الوضعية والأفكار الطارئة الدخيلة ، فكل فكر فاسد أو طارئ ، نحتاج الى مناهضته اسلاميا ، مع التزامنا بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

ويعتبر الامام محمد عبده المصري ت ١٩٠٥م ، إمام المدرسة العقلية الحديثة في التفسير هو المنظر الرئيس لهذه المدرسة ، والأب الفكري لها .

ويعد العقل العنصر المعرفي الذي يقوم علي منهج مدرسة الاصلاح :

حيث يرتكز منهج الاصلاح والتجديد على العقل الذي يعتمد على ظاهر القرآن الكريم حيث يتم فهم النص حسب ما ورد ، وبخلافه تكون العودة الى التأويل من اجل الوصول الى الحقيقة المنشودة .

ويكمن فهم النص من خلال ما يأتي :

أ. فهم الألفاظ القرآنية ، كما جاءت ضمن تسلسل أحداث وأسباب النزول .

ب . فهم أساليب القرآن البلاغية وهو ما يستدعي علم البيان ، فضلاً عن الاعراب .

ج . فهم المقصود من الآية القرآنية ، وما استحسنه الشارع وما قبحه حسب الحوادث الواردة في النص .

د. الاطلاع على سيرة وآثار النبي محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

هـ . الاطلاع على احوال المخاطبين في عهد النبي محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، فضلاً عن الاهتمام بنقد الحديث عن طريق المتن وليس عن طريق الرجال والأسانيد .

و. الاعتماد على علم الاجتماع وعلم النفس وغيرها من العلوم الحديثة في فهم النص وبالتالي النهوض بواقع الأمة حسب ما يمليه الواقع المعاصر وليس حسب الماضي ، على أساس أن الفكر الاسلامي جاء منفتحاً على العالم ولم يغلق الباب للتطور.([1])

أما الاصلاح الذي ارتبط بالتجديد ، فقد قام على ثبات الحركة الاصلاحية ومسايرتها للواقع المعاصر ، في سبيل إثبات أن الإسلام منهج حياة يصلح للتطبيق في كل زمان ومكان .

لقد تم طرح مفهوم الاصلاح على أنه حركة نشأت في داخل الفكر الاسلامي من أجل تنقية الفكر الاسلامي مما طرأ عليه من أخطاء منهجية وتصورات مريضة واتجاهات مليئة بالعواطف المبتدعة ، بسبب انتشار الجهل والتخلف .

([1]) كتابنا : اتجاهات فكرية معاصرة ، أ.د. محمد هادي شهاب التكريتي ، الدار المنهجية ، عمان ، ط١ ، ٢٠٢٠م./ ٢٨ . ٢٩ .

كل ما سبق جعل الكثير من المصلحين مندفعين لصقل هذا الواقع المرير عن طريق طرح أفكارهم التجديدية والاصلاحية ، فكان شعارهم التغيير للأفضل بعد حصول الأخطاء التي شوهت معالم الفكر الاسلامي .

وبالرغم من أن البعض قد فرّقَ بين مفهومي الاصلاح والتجديد من حيث اختلاف ركائز كل منهما ، فركيزة الاصلاح : التغيير ، وركيزة التجديد : القراءة الواعية للفكر الاسلامي ، والعودة الى منابع الإسلام الصافية .

غير أن الواضح أن المصطلحين يذهبان الى نتيجة واحدة ، وهي إنتاج فكري اسلامي ومجتمع مثالي يصلح لقيام المسلمين بدورهم الحضاري .